جامعة
بنغازي الحديثة

مجلة جامعة بنغازي الحديثة للعلوم والدراسات الإنسانية

مجلة علمية الكترونية محكمة

Journal of Benghazi Modern University of Sciences and Humanities

العـــدد السابع

لسنة 2020

حقوق الطبع محفوظة

شروط كتابة البحث العلمي في مجلة جامعة بنغازي الحديثة للعلوم والدراسات الإنسانية

1- الملخص باللغة العربية وباللغة الانجليزية (150 كلمة).
2- المقدمة، وتشمل التالي:
- ❖ نبذة عن موضوع الدراسة (مدخل).
- ❖ مشكلة الدراسة.
- ❖ أهمية الدراسة.
- ❖ أهداف الدراسة.
- ❖ المنهج العلمي المتبع في الدراسة.

3- الخاتمة. (أهم نتائج البحث - التوصيات).
4- قائمة المصادر والمراجع.
5- عدد صفحات البحث لا تزيد عن (25) صفحة متضمنة الملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

القواعد العامة لقبول النشر

1. تقبل المجلة نشر البحوث باللغتين العربية والانجليزية؛ والتي تتوافر فيها الشروط الآتية:

- أن يكون البحث أصيلاً، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية (النتائج) والمنهجية والتوثيق وسلامة اللغة ودقة التعبير.
- ألا يكون البحث قد سبق نشرة أو قُدم للنشر في أي جهة أخرى أو مستل من رسالة أو اطروحة علمية.
- أن يكون البحث مراعياً لقواعد الضبط ودقة الرسوم والأشكال - إن وجدت - ومطبوعاً على ملف وورد، حجم الخط (14) وبخط (Arial 'Body') للغة العربية. وحجم الخط (12) بخط (Times New Roman) للغة الإنجليزية.
- أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية.
- أن يكون البحث ملتزما بدقة التوثيق حسب دليل جمعية علم النفس الأمريكية (APA) وتثبيت هوامش البحث في نفس الصفحة والمصادر والمراجع في نهاية البحث على النحو الآتي:
- أن تُثبت المراجع بذكر اسم المؤلف، ثم يوضع تاريخ نشرة بين حاصرتين، ويلي ذلك عنوان المصدر، متبوعاً باسم المحقق أو المترجم، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الجزء، ورقم الصفحة.
- عند استخدام الدوريات (المجلات، المؤتمرات العلمية، الندوات) بوصفها مراجع للبحث: يُذكر اسم صاحب المقالة كاملاً، ثم تاريخ النشر بين حاصرتين، ثم عنوان المقالة، ثم ذكر اسم المجلة، ثم رقم المجلد، ثم رقم العدد، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الصفحة.

2. يقدم الباحث ملخص باللغتين العربية والانجليزية في حدود (150 كلمة) بحيث يتضمن مشكلة الدراسة، والهدف الرئيسي للدراسة، ومنهجية الدراسة، ونتائج الدراسة. ووضع الكلمات الرئيسية في نهاية الملخص (خمس كلمات).

3. تحتفظ مجلة جامعة بنغازي الحديثة بحقها في أسلوب إخراج البحث النهائي عند النشر.

إجراءات النشر

ترسل جميع المواد عبر البريد الالكتروني الخاص بالمجلة جامعة بنغازي الحديثة وهو كالتالي:

- ✓ يرسل البحث الكترونياً (Word + Pdf) إلى عنوان المجلة info.jmbush@bmu.edu.ly او نسخة على CD بحيث يظهر في البحث اسم الباحث ولقبة العلمي، ومكان عملة، ومجاله.
- ✓ يرفق مع البحث نموذج تقديم ورقة بحثية للنشر (موجود على موقع المجلة) وكذلك ارفاق موجز للسيرة الذاتية للباحث إلكترونياً.
- ✓ لا يقبل استلام الورقة العلمية الا بشروط وفورمات مجلة جامعة بنغازي الحديثة.
- ✓ في حالة قبول البحث مبدئياً يتم عرضة على مُحكِّمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يُعرض عليهم اسم الباحث أو بياناته، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث، وقيمته العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية المتعارف عليها، ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمها.
- ✓ يُخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال شهرين من تاريخ الاستلام للبحث، وبموعد النشر، ورقم العدد الذي سينشر فيه البحث.
- ✓ في حالة ورود ملاحظات من المحكِّمين، تُرسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن تعاد للمجلة خلال مدة أقصاها عشرة أيام.
- ✓ الأبحاث التي لم تتم الموافقة على نشرها لا تعاد إلى الباحثين.
- ✓ الأفكار الواردة فيما ينشر من دراسات وبحوث وعروض تعبر عن أراء أصحابها.
- ✓ لا يجوز نشر إي من المواد المنشورة في المجلة مرة أخرى.
- ✓ يدفع الراغب في نشر بحثه مبلغ قدره (400 د.ل) دينار ليبي إذا كان الباحث من داخل ليبيا، و (200 $) دولار أمريكي إذا كان الباحث من خارج ليبيا. علماً بأن حسابنا القابل للتحويل هو: **(بنغازي – ليبيا - مصرف التجارة والتنمية، الفرع الرئيسي - بنغازي، رقم 001-225540-0011. الاسم (صلاح الأمين عبدالله محمد)**.
- ✓ جميع المواد المنشورة في المجلة تخضع لقانون حقوق الملكية الفكرية للمجلة.

info.jmbush@bmu.edu.ly

00218913262838

د. صلاح الأمين عبدالله
رئيس تحرير مجلة جامعة بنغازي الحديثة
Dr.salahshalufi@bmu.edu.ly

الجذور التاريخية لظاهرة التطرف، ودور الشعراء في توثيقها (الفتنة في عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما أنموذجاً)

*** د. عبدالله علي نوح، ** د. علي عياد محمد**

(* رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم المرج. ** رئيس قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم المرج - جامعة بنغازي – ليبيا)

الملخص:

يعد التطرف بمفهومه الحداثي انعكاساً فكرياً واستقراءاً تاريخياً لمجموعة من الأيديولوجيات والمناهج المذهبية التي ظهرت في عصر صدر الإسلام ، نتيجة لعوامل عدة: منها التأويل الظاهري للنص القرآني ، وانحراف أوجه الاستدلال والتفسير، ومنها خلط المفاهيم الإسلامية ببعض معتقدات الأديان القديمة متجسدة في التجسيم والتأليه ، ومنها عدم استساغة بعض الأمم القديمة فكرة الانقياد للحكم العربي ممثلاً في الخلافة الإسلامية ، ومنها ظهور الجدل بين المسلمين في قضايا العقيدة والسياسة وصولاً إلى ظاهرة (التكفير) بين الفرق الإسلامية ومن ثم تشريع قتال المخالفين .

وقد تظافرت تلك العوامل مجتمعة ، مضافاً إليها مبررات رأى أصحابها أنها كافية للخروج وإعلان القتال في المجتمع الإسلامي الوليد ، بدأت من الطعن والخلاف الفكري والتأويلي، ثم تطورت إلى التكفير واستحلال دم المسلم وتحكيم السيف لحسم الصراع الذي تحول من خلاف في القول إلى افتراق وتناحر.

وبنظرة غير عجلى لبدايات هذه الظاهرة في تاريخ الإسلام يستوقفنا عهدان راشدان ، تطرفت فيهما الأفكار وتدخل السيف لحسم الصراع ، فعهد سيدنا عثمان ﷺ شهد أول خروج في الدولة الإسلامية ، وافترق المجتمع الإسلامي إلى مناصرين وخوارج ، وأدت تلك الفرقة إلى استشهاد الخليفة عثمان ﷺ ما فتح أبواباً للجدل والافتراق ، تنامى واستفحل في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ، الأمر الذي أسهم في وضوح ظاهرة التطرف المتمثل في فرقة الخوارج بأفكارها ومعتقداتها ، ثم المعتزلة برؤاهم وأقوالهم ، والسبائية بغلوهم وتطرفهم ، والشيعة بجنوحهم الغالي في التطرف والتعصب ، ثم ظهور فرق أخرى وشيع شتى ، تطرفت وغالت في أفكارها حدّ الغلو والتطرف مثل الجهمية والثوبانية والكرامية والغسانية والأشاعرة والمرجئة وغيرها .

وهذا البحث استقصاء لنشأة هذه الظاهرة في بعدها التاريخي والمذهبي ، وتأطير لبعض أشهر مذاهبها وفرقها وأفكارها وأعمالها ، وبالأخصّ في بدايتها الزمنية منذ عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ ، وعهد خليفته علي بن أبي طالب ﷺ ، وصولاً إلى محاولة الربط بين أفكار تلك الفكر وأثرها التاريخي والعقدي على مجمل أفكار المتطرفين وعقائدهم في أزمنة أُخَر من عصور الإسلام وصولاً إلى الأفكار والأقوال التي بقيت من عقائدهم إلى يوم الناس هذا ، واتخاذ بعض الجماعات المتطرفة - حديثاً - تلك الأفكار منهجاً ومعتقداً في تبرير العنف والتطرف نتيجة لجهل أو تحقيقاً لأهداف وغايات ، فهذا البحث ينحو باتجاه دحض حجج تلك الفرق وأفكارها وأقوالها اعتماداً على كتاب الله القويم وسنة رسوله الكريم ، واستشهاداً بسيرة النبي العطرة الصحيحة، وسير أصحابه الميامين ، وبيان الدور الفاعل الذي اضطلع به الشعراء ؛ لتوثيق تلكم

الأحداث التاريخية ، وتدوين تينك الأفكار المنحرفة التي أدخلت كثيرا من الشباب في نفق مظلم شغلهم عن العقيدة الإسلامية الصحيحة المستقاة من كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ .

فالشعر العربيُّ لم يكن بمعزلٍ عن تأريخ الأحداث والموقف ، وإعادة صياغتها ، وهذا ملاحظٌ لدى الشعراء بشكل جليّ ، فقد تميزت حياة العرب قبل الإسلام بكونها حياة حربية تقوم على سفك الدماء ، وكان الشِّعر لا يزدهر إلاَّ في الحرب ، لذلك فإنَّ القبائلَ العربية التي لم يكن بينها حروب ، ولم تعرف بوقائع وأيام لم يزدهر فيها شعر ، يقول ابن سلام : " وإنَّما كان يكثر الشعرُ بالحروب التي بين الأحياء ، نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويُغَار عليهم ، والذي قلل شعر قريش أنَّه لم يكن بينهم نائرة..."(ابن سلام 1 :259).

وتبعا لذلك ارتأى الباحثان تقسيم البحث على ثلاثة مباحث : فالمبحث الأول التعريف بالتطرف ، وحقيقته ، وأقسامه .

في حين يتجه المبحث الثاني إلى دراسة نشأة التطرف الديني عند المسلمين تأثرا بمن سبقهم من الأمم ، وما نظمه شعراؤهم في تأصيل قواعدهم المنحرفة .

وينحو المبحث الثالث إلى عقد مقارنة بين معتقدات بعض الفرق الضالة ، ومدى صحتها من عدمها .

وختمت الدراسة بخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ، ثم قائمة للمصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحثان .

ـ مشكلة البحث:

يسعى الباحثان من خلال هذا البحث المتعلق بتتبع الجذور التاريخية للتطرف والإرهاب للإجابة عن الإشكالية التالية : إذا كانت الأعمال الإرهابية المرتكبة نتاج أفكار متطرفة متجذرة في أعماق التاريخ ، ثم ترجمت إلى سلوكيات مادية شكلت بذلك جريمة وطنية ودولية ، فهل كل فكر متطرف هو امتداد لآخر موغل في القدم؟

ـ أهمية الدراسة ومنهجية البحث:

تهدف الدراسة إلى بيان معنى التطرف في المعجم ، والمفهوم الإسلامي الدقيق ، وكذا تسليط الضوء على امتداده التاريخي ، وكان من الأسباب الباعثة على البحث ـ أيضا – انتشار التطرف كثيرا بين الناس، والرغبة في معالجته الموضوع بصورة تتسم مع وسطية الإسلام.

وقد سلكت الدراسة المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي ؛ فعمدت إلى تتبع هذه الظاهرة ، مع إيراد الأدلة الشرعية والنظر في معتقدات مروجيها ، وعرضها على النصوص الشرعية وصولا للرأي الصحيح.

ـ الدراسات السابقة:

نشير هنا إلى كتاب أحمد الموصللي (2014م) "موسوعة الحركات الاسلامية في العالم العربي وإيران وتركيا" الذي حاول من خلاله تتبع السيرة التاريخية للجماعات المتطرفة في البلدان الإسلامية موضوع الدراسة.

وهناك دراسة للحيدري (2015) اتجهت إلى دراسة التطرف كونه ظاهرة عالمية وتاريخية تمت محاربتها بوسائل متعددة ، حيث أن جميع الديانات والرسالات السماوية تدين التطرف، وتعدّه من أعقد المشكلات والعقبات التي تواجه تقدّم البشرية.

أما دراسة المهدي حميش (2005) فقد تناولت التطرف الديني في الديانات السماوية المنظور والتحليل.

في حين تناولت دراسة عبدالخالق حسين (2004م) أسباب نشوء الحركات الإسلامية المتطرفة.

وغيرها من الدراسات العلمية والبحوث التي تناولت القضية موضوع الدراسة من إحدى محاورها .

المبحث الأول: التطرف: حقيقته ، وأقسامه:

التطرف في اللغة: هو مجاوزة حد الاعتدال وعدم التوسط في الأمور ، أو هو الوقوف في الطرف (ابن منظور: 9 : 262) قال أبو سليمان الخطابي (السبكي: 3 : 184)

فلا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمر ذميم وقيل : طرفا الدابة أي مقدمها أو مؤخرها (ابن منظور، مصدر سابق).

وأصله في عالم المحسوسات كالتطرف في الوقوف أو الجلوس أو السير، ثم انتقل إلى المعنويات كالتطرف في الدين أو الفكر أو السلوك، أو هو ناصية ومنتهى كل شيء، قال الشاعر (ابن القيم: 1 : 182):

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

والتطرف في الاصطلاح: يعني الغلو ومجاوزة الحد المقبول والتعصب لعقيدة أو فكرة أو مذهب يختص بـه دين، أو جماعة، أو حزب ، فيوصف بالتطرف الديني والحركي والسياسي (الزبيدي ، مادة "طرف") .

ومن الناحية الدينية فالتطرف: هو الخروج عن المألوف عقديا، المصحوب بالغلو في الدين مع الانعزال عن الجماعة وتكفيرها وإباحة مواجهة الرموز الاجتماعية بالقوة ، كما أنه التجاوز في الفكر أو المذهب أو العقيدة عن الحدود المتعارف عليها قبل الجماعة ، والتعصب لرأي واحد أو استنتاج خاطئ ، والمبالغة في السلوك الناتج عن هذا التعصب أو التطرف في الفكر(الجصاص :3 : 282).

وهناك ألفاظ تنتظم في سلك التطرف ، هي: التشدد والغلو والتنطع والإفراط والتفريط على حدّ سواء، فجميعها تحمل معنى الغلو؛ لأن في ذلك كله جنوحا إلى الطرف، وبعدا عن الجادة والوسطية التي هي سمة من سمات هذا الدين (الصاوي: 8) ومبدأ من مبادئه الأساسية الثابتة، وميزة من ميزات هذه الأمة.

ولهذا فالتطرف يوصف به طوائف من اليهود والنصارى والمسلمين وممن قبلهم، فثمة - الآن - أحزاب يمينية متطرفة أو يسارية متطرفة وصفت بالتطرف الديني والحركي والسياسي .

ووصفُ الغلوِّ بالتطرف له وجهه المسوغ له بأخذ أحد الطرفين، ولكن الوصف الشرعي للتشدد في الدين والغلو فيه، يجب أن يكون مرجعه إلى الشرع نفسه لا اصطلاح الناس ومفاهيمهم وإطلاقاتهم ، كما دلّ عليه حديث ابن عباس - ﷺ- أن النبي - ﷺ - قال في الحج: «أمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين » رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه. (الدمنهوري: 12 : 169) .

فالتطرف إذاً، موقف متشدد بالقبول التام أو الرفض التام تجاه موقف أو فكرة ما مع عدم الرغبة في مناقشة ذلك الاعتقاد، كما يمكن أن يكون سلوكًا بشكل يغاير الاعتدال زيادةً أو نقصًا.

وتبعا لذلك، يمكن تعريف التطرف على أنه: ظاهرة تحدث عندما يتخذ الفرد موقفًا معينا اتجاه قضية ما سواء كان موقفه إيجابيًا أو سلبيًا، وقد يكون هذا الموقف مجرد فكر أو يتخذ شكل سلوك ظاهري، وينشأ عن هذا الموقف تأثيرات سلبية على الفرد والآخرين.

فهو ظاهرة اجتماعية ترتبط بالظروف الدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يمر بها المجتمع ، ويتمثل في المجتمعات الوسطية في الاعتقاد بما يخالف القيم والمعايير المقبولة في المجتمع ، والخروج على تلك القيم والقيام بسلوكيات تخالفها، وقد يظهر التطرف في مجالات عديدة ، فيكون سياسيًا أو دينيًا أو مذهبيًا.

وهو - أيضا - ظاهرة مرضية تؤشر على وجود خلل ما في النفس الإنسانية أو في الظروف المحيطة بها، فالنفس الإنسانية السوية بطبيعتها ترفض التطرف والتعصب والجمود ؛ لأن الفطرة السليمة تأبى ذلك وتنفر منه (الريان: 109).

وللتطرف عدة أقسام وأشكال، أبرزها:

1 - التطرف الديني أي الابتعاد عن الوسطية في الدين، سواءً بالغلو والتشدد والتعصب أو بالتسيب وعدم الالتزام بقواعد الدين الصحيحة.

2 - التطرف السياسي وذلك بالتشدد لجماعة أو حزب أو فكر سياسي معين وعدم قبول الرأي الآخر ومعاداته ومحاربته بكافة الوسائل.

3 - التطرف الاجتماعي وذلك بالخروج عن قيم المجتمع وعاداته وتقاليده بشكل يخالف المألوف ويثير الرأي العام.

4 - التطرف الأخلاقي: ويعني الخروج عن الاتزان الأخلاقي إما بالتشدد في تطبيق سلوك أخلاقي معين أو في التخلي تماماً عن تطبيق ذلك السلوك (الجراد : 2) .

ومن مظاهر التطرف: (التعصب للرأي، إلزام المسلمين بما لم يفرض عليهم، عدم الاعتراف بالرأي الآخر، التشديد في غير محله، الغلظة و الخشونة، سوء الظن بالناس، عدم التسامح النظرة التآمرية العدوانية، المثالية) (الجراد: 311-366) .

والتطرف بمختلف أشكاله مرفوض وممقوت ، سواء كان فكريا أو سلوكيا.

المبحث الثاني: نشأة التطرف الديني عند المسلمين (عهد عثمان وعلي ﷺ) تأثراً بمن سبقهم من الأمم ، وما نظمه شعراؤهم في تأصيل قواعدهم المنحرفة:

التطرف ظاهرة قديمة موصولة الحلقات ولها جذورها التاريخية ، التي تعود إلى زمن خلق الله الخلق ، وحدوث حادثة النزاع بين ولديْ أبينا آدمﷺ ، سجل لنا القرآن الكريم في آياته الكريمة أول حادثة قتل للإنسان على وجه البسيطة ، وذلك حينما قتل الأخ أخاه.

فالتطرف وليست ظاهرة حديثة كما يراها الناس ، فما ظهر دين ولا رسالة سماوية إلا كان أنصاره قسمين : متطرفون ومعتدلون. فالتطرف ظاهرة في كل الأديان السماوية.

وبسبر أغوار هذه الظاهرة نجد أنها وجدت عند قوم نبي الله تعالى نوح ﷺ؛ وذلك أن سبب بعثته إلى قومه وجود الغلو فيهم بالصالحين، حيث كان الغلو والتطرف سببا في كفرهم وشركهم مع الله في عبادته غيره، فلقد غلا قوم نوح قبل مجيئه إليهم في رجال كانوا صالحين فغلوا في محبتهم حتى عبدوهم من دون الله ﷻ، ثم إنهم صوروا لهم أصناما تكون رمزا لعبادتهم، فكانت تلك الصور سببا في دخول الأصنام إلى جزيرة العرب قبل مجيء الرسول ﷺ ، كما قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** ﴾ (نوح: 23).

أخرج البخاري بسنده إلى ابن عباس ﷺ، قال في هذه الآية: "صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطفان ...، وأما يعوق فكانت لهمذان، وأما نسر فكانت لحمير لآل

ذي الكلاع وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت" (البخاري:1045).

والأنصاب جمع نصب وهو الصنم ينصب للميت لتخليد ذكراه. هذه في الحقيقة تمثل مظهرا جليا من الغلو، في باب الغلو في الأشخاص، وهذا يعدّ انحرافا عن صراط الله المستقيم.

وظهر التطرف عند أمة يهود، ويعدّ من أقدم الظواهر، فقد بدأت منذ فترة الحكم الروماني في فلسطين بداية من نحو سنة 63 ق. م، واستمرت حتى قيام دولة إسرائيل عام 1948م .(جواد وكاظم : 11 وما بعدها)

وهي الأشّد خطراً في التاريخ ، فالتعاليم المحرّفة للتوراة، التي صاغها الحاخامات اليهود وفقاً لمصالحهم، تنطلق من الذاتية و"الأنا" المطلقة، والعدوان على كل الآخرين، واحتقارهم ففي سفر إشعيا نجد: "ليمت جميع الناس ويحيي إسرائيل وحده"، "يرفعك الله فوق جميع شعوب الأرض، ويجعلك الشعب المختار"، و"يقف الأجانب يرعون أغنامكم، أما أنتم – بني إسرائيل- فتدعون كهنة الرب تأكلون ثروة الأمم، وعلى مجدهم تتآمرون" (جواد وكاظم، مصدر سابق).

فاليهود تُقرُ مبدأ القتال؛ لأنه مرتبط بوجودهم وبقائهم ، وأنهم أبناء الله وأحباؤه وما سواهم أميون يجوز أن يفعلوا بهم ما شاؤوا وفق مبدئهم الخبيث " أنهم شعب الله المختار " ، وقد قصّ الله تعالى علينا ذلك في قوله عزّ مِنْ قائل : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.(سورة آل عمران : 75) ، أي : أن كل البشر مخلوقون لأجلهم ، مسخرون لخدمتهم .

على أن مظاهر الغلو والتطرف تبدو واضحة جلية في نواحٍ شتى في التعالي والكبر والعجب واحتقار الناس جميعا مسلمين ونصارى وغيرهم.

ومن مظاهر تميزهم عن الناس بالدعاوى الباطلة ادعاؤهم أنهم أبناء الله وأحباءه ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (سورة المائدة :18) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وزعمهم أنهم شعب الله المختار، وأنه ليس عليهم - فيما يفعلون في غيرهم من الظلم والبغي والاعتداء والقتل والسمل – حرج ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾. (سورة آل عمران :75)

ويظهر التطرف جليا في قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(سورة آل عمران : 181 - 183) وعيبهم الله بالتعب والإعياء في خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾(سورة ق :38)، ومن إرهابهم: قتلهم أنبياء الله ورسله إليهم وفسادهم وإفسادهم في الأرض بغير حق ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.(سورة النساء:155)

ولقد نعـــــى الإسلام على اليهود ومن على شاكلتهم هذا الجنوح إلى التطرف والغلو والتنطع، وادّعاء التبتل ورفـــــض الحياة الدنيا، واعتقاد خلاف شرائع الله المنزلة على أنبيائه ورسله ملزمون أنفسهم، بما لم يلزمهم به الله -ﷻ- فقال ﷻ ناعياً عليهم ذلكم: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾. (سورة الحديد: 27)

والتطرف وُجد عند النصارى ، وكانوا أضل منهم سبيلا وكفرا ، وكل ذلك مثبت في القرآن الكريم فـــ "النَّصَارَى أَيْضًا يَصِفُونَ اللَّه بِصِفَاتِ النَّقْصِ الَّتِي يَجِبُ تَنْزِيهُ الرَّبِّ عَنْهَا، وَيَسُبُّونَ اللَّهَ سَبًّا مَا سَبَّهُ إِيَّاهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ، كَمَا كَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَقُولُ: لَا تَرْحَمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ سَبُّوا اللَّهَ سُبَّةً مَا سَبَّهُ إِيَّاهَا أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ، وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ. وَالنَّصَارَى يُجَوِّزُونَ لِأَكَابِرِهِمْ أَنْ يَنْسَخُوا شَرْعَ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، فَيُحَلِّلُوا مَا حَرَّمَ، كَمَا حَلَّلُوا الْخِنْزِيرَ، وَغَيْرَهُ مِنَ الْخَبَائِثِ، بَلْ لَمْ يُحَرِّمُوا شَيْئًا، وَيُحَرِّمُونَ مَا حَلَّلَ، كَمَا يُحَرِّمُونَ فِي رَهْبَانِيَّتِهِمُ الَّتِي ابْتَدَعُوهَا، وَحَرَّمُوا فِيهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ، وَيُسْقِطُونَ مَا أَوْجَبَ كَمَا أَسْقَطُوا الْخِتَانَ وَغَيْرَهُ، وَأَسْقَطُوا أَنْوَاعَ الطَّهَارَةِ مِنَ الْغُسْلِ، وَإِزَالَةِ النَّجَاسَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيُوجِبُونَ مَا أَسْقَطَ، كَمَا أَوْجَبُوا مِنَ الْقَوَانِينِ مَا لَمْ يُوجِبْهُ اللَّهُ وَأَنْبِيَاؤُهُ ". (ابن تيمية: 3 : 97).

فالتطرف - إذاً - عند النصارى قديم قدم رسالة نبي الله عيسى ﷺ، فما نراه في هذا الزَّمن من تَحقير النَّصارى للمسلمين ولدينِهم ولنبيِّهم هو لون من ألوان التطرف والغلوّ الَّذي ورِثوه عن أسلافهم.

لقد كان مجتمع الجزيرة العربية قبل مجيء الإسلام، مجتمعاً يتصف بعدة صفات عنصرية وقبلية وبدوية، وأن الواحد منهم كان يعتقد أن نسبه أرقى الأنساب وأعلاها، حتى ظهرت عندهم المفاخرات بين القبائل، وأبرزها : المفاخرة بين العدنانيي والقحطانيين.

كانوا ينظرون إلى المرأة نظرة احتقار واشمئزاز، حتى غدت عندهم مسلوبة الحقوق، وأهمها حق الحياة، ومحرومة من قيمها الإنسانية، وهو ما ذكره القرآن الكريم في شأن المرأة: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾. (سورة التكوير: 8–9)

فلم يكن عرب الجاهلية يخضعون لسلطة حكومية غير سلطة رئيس القبيلة. وحينما جاء الإسلام، رفض كل ألوان الظلم والتخلف. فقد رفض أي أنواع التفاضل العنصري وأكد أن معيار التفاضل هو التقوى.

إذاً؛ فالتطرف ظاهرة لها وجود تاريخي عند العرب قبل مجيء الإسلام ، ولعلنا نلتمس معنى التطرف في قول ذي الرمة(ابن منظور: مصدر سابق) :

فما زال يغلو حب مية عندنا ويزداد حتى لم نجد ما نزيدها

أي: جاوز حبها الحَد وبلغ أَقْصَى الْغَاية وَهُو مِنَ التجاوزِ.

إنّ الواقع المتمرد الذي كان عليه عرب الجاهلية وطبيعة حياتهم الاجتماعية المتوحشة، ترك آثاره في نفوس الكثير منهم، لذلك لما بعث الله رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، حدثت بعض المواقف التي صُنّفت على أنها نوع من التطرف ، ففي عهد النبي ﷺ ظهر الغلو والتطرف بعدة أشكال وتصدى لها النبي ﷺ وأبطلها، من خلال المواقف الآتية :

أ- من خلال الأعرابي الجاهل حرقوص بن زهير (ذو الخويصرة) التميمي الذي اعترض على قسمة النبي صلى الله عليه وسلم للغنائم، وهذا قدم رأيه على رأي النبي ﷺ، ومن ثم أصبح سمة الخوارج الاعتراض على العلماء ، وأخبر النبي ﷺ أن سيكون له ذرية يحملون فكر الغلو والتطرف، وأنهم ليس عندهم من حقيقة الإسلام شيء برغم كثرة صلاتهم وصيامهم.(ابن كثير: 10 : 618) وإياه عنى الشاعر" الرهين المرادي " أحد فقهاء الخوارج ونساكها:

يا نفس قـــــد طال في الدنيا مراوغتي لا تأمنن لصرف الدهـــــر تنغيصا

إني لبائع مـــا يفنى لباقيـــة إن لـم يعقني رجاء العيش تربيصا

وأسـأل الله بيع النفس محتسبا حتى ألاقـي في الفردوس حرقوصا

وابن المنيح ومرداسا وإخوتـه إذ فارقـوا هـذه الدنيا مخاميصا

ففي هذه الأبيت نلمس بوضوح طرفا من عقيدة الخوارج التي تمثلت في التذمر من الدنيا، والرغبة في الآخرة، والوصول إليها بأي سبيل ولـو بالانتحار والذبح والقتل ، قال أبو العباس: "وأكثرهم لم يكن يبالي بالقتل، وشيمتهم استعذاب الموت، والاستهانة بالمنية". (ابن أبي حديد: 99)

ب- الثلاثة الذين استقلّوا عبادة النبي صلى الله عليه وسلم (أي رأوها قليلة) لأنه كان ينام ويفطر ويعاشر نساءه، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن " من رغب عن سنتي فليس مني" وهذا هو فعل جهال الصوفية الذين يغلون في العبادة حتى يضيعوا الدنيا. ".(البخاري: 1079)

وهكذا ، فقد كان ﷺ يجهض كلَّ دعوة مِن شأنها الخروج عن عقيدة الإسلام السمحة، وإثارةُ العصبيَّة، والابتداع والتطرف الديني، وبذرُ الفُرقة بين المسلمين؛ لِما يعلم لها ﷺ مِن نتائجَ وَخيمة، ومفاسدَ عظيمة، وظلَّ المسلمون كذلك يتَّقون وقوعَ هذا الشرِّ بينهم، ويعيشون في اجتماعٍ ووحدة وتماسُك طيلةَ حياة النَّبي ﷺ فزمانَ خليفتَيْه أبي بكر ثمَّ عمر ﷺ، وكلَّما بدَتْ نارُ فُرقة، سارع المصلِحون المخلِصون لوَأْدِها في شرارتها الأولى.

فلمَّا كانت وفاة أمير المؤمنين عمر ﷺ وخلافةُ أمير المؤمنين عثمان ﷺ، بدأتِ الفتنُ تطلُّ برأسها؛ فإنَّ عمر ﷺ كان الباب الذي يَحول بين الأمَّة وبين الفِتَن، فلمَّا مات، انكسر البابُ وانهمرتِ الفِتنُ على المسلمين انهمارًا، وكان أعظم هذه الفِتن الاقتتال بين الصَّحابة.!

ثم ، سرعان ما جرتِ الأحداثُ بعهد ذي النُّورين عثمان ﷺ ، ومارَتِ الفتن حتى انتهت بقَتْله شهيدًا - كما أخبر النبيُّ ﷺ(البخاري 3674 و3305) - على أيدي نفَر مِن المتطرفين شراذم وشذَّاذ الآفاق، أتوا مِن مصر والعراق وغيرهما.

نشأت الفتنة على يد اليهودي الخبيث عبد الله بن سبأ المكنى بـابن السوداء، هذا الرجل الذي دخل في الإسلام في ظروف غامضة ، وانتحل الإسلام، وادّعى حرصه وغيرته الشديدة على قيمه وحدوده وحرماته، مما يدلّ على أن جذور التطرف والغلو تمتدّ إلى اليهود سبب كل بلاء ورزية وقعت في مختلف الأزمان .

انطلق ابن السوداء إلى مدينة رسول الله ﷺ ؛ ليدرس أحوال المدينة في صمت وخبث ودهاء، وليتسمع أخبار الأمصار والأقاليم، وليرسم خطته بإحكام وإتقان، ولما انتهى من رسم الخطة انطلق في الأمصار وفي البلاد؛ لينفث سمومه الكبيرة، ووجدت هذه السموم بعض الآذان الصاغية من الموتورين، وهؤلاء لا يخلو منهم زمان ولا مكان. انطلق هذا الرجل الخبيث بهذه العبارة الخطيرة، وبهذه الفتنة الكبيرة التي بدأها بالطعن في خلافة عثمان ﷺ وأرضاه، وقال عبارته الشهيرة: "إن لكل رسول وصياً، وإن علياً وصي رسول الله ﷺ، وإن عثمان وثب على الأمة، وأخذ الحق من صاحبه هذه هي بداية الفتنة، وانطلق في البلاد والأمصار، فبدأ بالبصرة، ثم ذهب إلى الكوفة، ثم إلى الشام، ثم إلى مصر.

نجح ابن السوداء في أن يستقطب بعض الثوار (سبب كل خراب) من ضعفاء النفوس وأصحاب أمراض القلوب، واتفقوا جميعاً تحت هذه المظلة التي تخدع الكثير والكثير في كل زمان ومكان، ومما قال لهم محبباً لمنهجهم: "تظاهروا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لتستميلوا الناس إليكم، وابدءوا بالطعن في أمرائكم، وقولوا: إن علياً وصي رسول الله ﷺ، وإن عثمان قد اعتدى عليه، وأخذ الحق من صاحبه، فانهضوا؛ لتردوا الحق إلى أهله، واتفق هؤلاء على أن يلتقوا جميعاً بالمدينة، وخرجوا وقد تظاهروا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأبلغوا الناس أنهم ما خرجوا إلا للقاء عثمان ﷺ وأرضاه؛ ليستعفوا بعض عماله، ووصلوا إلى

المدينة في أعداد تقل قليلاً عن ثلاثة آلاف رجل، في الوقت الذي كان فيه أصحاب النبي ﷺ في البعوث والغزوات، بل ومنهم من خرج إلى حج بيت الله الحرام. ولما سمع عثمان الخبر أرسل إليهم رجلين من بني مخزوم من رجاله، فوصل الرجلان إلى القوم فعلما حقيقة الأمر، وأن القوم ما خرجوا إلا لأمرين: إما لخلع عثمان، أو لقتله.

أُخبر عثمان بذلك ، فجمع الناس في المسجد، وقام على المنبر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وأخبرهم بحقيقة القوم ، فقال أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار ﷺ: " اقتلهم ، فإن رسول الله ﷺ قد قال: من دعا إلى نفسه أو إلى أحد وعلى الناس إمام فعليه لعنة الله ، واقتلوه ، قال: كلا، بل نعفو ونقبل، ونبصرهم بجهلنا، ولا نقتل أحداً حتى يرتكب حداً أو يبدي كفراً ".

ثم بدأ عثمان يرد على المسائل التي نقموا عليه فيها، ويرد اتهامات القوم ، ويرد إشاعات الناس؛ ومنها قولهم: "إنه خالف رسول الله ﷺ وصاحبيه، وأتم الصلاة في المزدلفة في الحج وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقصر الصلاة وأبو بكر وعمر ﷺ" فقال عثمان ﷺ: "أما وإني قد أتيت بلداً فيه أهلي فأتممت الصلاة لذلك -وهذا اجتهاد منه ﷺ- " ثم التفت إلى القوم وقال: أكذلك هو؟ قالوا: اللهم نعم".

ومنها ما ذكره عثمان ﷺ حين قال: "واتهموني بأن القرآن كان صحفاً فجعلت القرآن كتاباً واحداً، ووالله ، إن القرآن لكتاب واحد نزل من عند واحد ولم أفعل إلا ما فعله صاحباي: أبو بكر وعمر ﷺ، أكذلك هو؟ قالوا: اللهم نعم" .

ومنها - أيضا - قوله ﷺ : "واتهموني بأني أحب أهلي وأعطيهم من مال المسلمين، أما والله ، إن حبي لهم لم يملني معهم على جور، وإنما أقمت حقوق الله عليهم، وأما عطائي لهم فمن مالي، ووالله إنني إلى يومي هذا ما أكلت من مال المسلمين، وإنما آكل إلى اليوم من خالص مالي".

وفنّد عثمان ﷺ الشبهات والأقاويل والافتراءات والادعاءات، التي روجوها حوله ، وظن أن الناس قد انطفأت نار الفتنة في قلوبهم، ولكنه نسي أن هؤلاء ما خرجوا لله، وما خرجوا للدار الآخرة، وما خرجوا ابتغاء مرضاة الله، وإنما خرجوا لنار تتأجج في قلوبهم، وتشتعل في صدورهم، وعاد القوم وقد اتفقوا على أن يعودوا مرة أخرى لحصار المدينة ، وذات صباح تفاجأ أهل المدينة بهؤلاء الثوار المسلحين وهم يحاصرون المدينة من كل جانب، وينتشرون في شوارعها، ولم يراعوا حرمة رسول الله ﷺ ولا حرمة خليفته، ولا حرمة أصحاب النبي ﷺ ، بل حاصروا بيت الخليفة، ومنعوا عنه زواره، ومنعوا عنه الطعام والشراب، وهو الذي اشترى بئر رومة من خالص ماله ﷺ وأرضاه.

ذهب بعض الصحابة ﷺ إلى عثمان ﷺ ليعرضوا عليه إما أن يقاتلهم، أو يخرج إلى الشام عند معاوية ﷺ أو يرسل معاوية ﷺ جيشا لحمايته، فرفض وقال: "حسبي الله ونعم الوكيل".

وانتهى الأمر بقتله بعدما ادَّعوا عليه - ظلمًا وبهتانًا - دعاوى استحلُّوا بها دمه، ومضى عثمان ﷺ إلى ربِّه راضيًا مرضيًّا صابرًا مصابرًا بعدما أقسم على الصَّحابة ألَّا يَسفكوا لأجله دمًا ولا يَقتلوا إنسانًا، وبعدما رفض أن يَسير إلى بلدٍ مِن البلاد تكون له بها مَنعة، أو يَبعث إليه ولاتُه بجندٍ تتوفر له بسببهم حماية.

كان قتله ﷺ حدثًا مأساويًا فارقًا في التاريخ الإسلامي كله، حيث كان بمثابة الحدث المؤسس لفتنة أكبر نتج عنها انشقاق أمة الإسلام تمامًا كما حذر عثمان ﷺ نفسه.

وقد لاحظ هذا ثُمامة بن عدي القرشي ﷺ وكان عاملًا لعثمان ﷺ على صنعاء، فلما أتاه نبأ قَتْله بكى وقال: "الْيَوْمَ انْتُزِعَتْ خِلافَةُ النُّبُوَّةِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَصَارَتْ مُلْكًا وَجَبْرِيَّةً مَنْ أَخَذَ شَيْئًا غَلَبَ عَلَيْهِ" (الطبري: 4: 415 وابن عبد ربه: 2 : 94).

ومن أبرز الآثار التي جنتها الأمة بسبب مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ:

أ- حصول الفتنة بين المسلمين، وتفرّق الكلمة، وانشقاق الصف:

إن مقتل الخليفة عثمان ﷺ قد فتح أبواب الفتنة على مصاريعها ، فبعد أن بويع علي ﷺ بالخلافة خشي رؤوس الفتنة من اتفاق كلمة المسلمين عليهم ، فعمدوا إلى إبقاء الفتنة مشتعلة؛ ليشغلوا الناس عنهم، وانحاز كثير منهم إلى جيش علي ﷺ ، مستخفين بين الناس ، وكانوا كلما سعى الصحابة للصلح أوقعوا الفتنة ، وأضرموا نيران الحرب، حتى وقعت معركة الجمل، ثم معركة صفين التي قتل فيها أعداد كبيرة من المسلمين(ابن حمد : 168 وما بعدها).

ب- الإيذان بقرب انتهاء عهد الخلافة الراشدة:

كان مقتل عثمان ﷺ مؤذناً بقرب انتهاء نظام الخلافة ، وهذا ما حصل بعد زمن يسير، فقد تولى الحكمَ عليٌّ ﷺ ، ثم تولاها بعد استشهاده ابنُه الحسن ﷺ ، ومكث في الحكم بضعة أشهر ، ثم تنازل لمعاوية ﷺ منهياً صراعاً طويلاً بين المسلمين .

ج- ظهور الخوارج:

يرى ابن كثير وابن أبي العز رحمهما الله - تعالى- أن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان ﷺ ، قال ابن أبي العز: "فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى" وقال ابن كثير في أحداث مقتل عثمان ﷺ: "وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جداً" (ابن كثير 7 : 189) .

د- ظهور التشيّع:

كان مفهوم التشيع في أول أمر الفتنة التي وقعت بعد مقتل عثمان ﷺ يعني مناصرة علي ﷺ والوقوف إلى جانبه ليأخذ حقه في الخلافة، وأن من نازعه فيها فهو مخطئ يجب رده إلى الصواب ولو بالقوة، لكنّ الأمر لم يقف عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى تفضيل عليٍّ على أبي بكر وعمر وسائر الصحابة ﷺ، ثم بدأ التشيع بعد ذلك يظهر كطائفة ذات أفكار وآراء اعتقادية، ووجدت أفكار ابن سبأ الغالية فرصة للتغلغل بين هؤلاء المؤيدين، لاسيما بعد استشهاد علي ﷺ، وما حصل لآله من بعده، ثم بدأ الانحراف يزداد شيئاً فشيئاً، حتى وصل الأمر إلى سبّ الصحابة وتكفيرهم والتبرؤ منهم، ثم تأليه علي ﷺ.

ثم لم يقف أمر الافتراق عند هاتين الفرقتين ، بل سرعان ما تحولت المواقف العاطفية والسياسية إلى تيارات فكرية، ثم عقائدية، وبدأت الفرق بالظهور، فظهرت القدرية والمرجئة والجهمية والمعتزلة وغيرهم" (ابن الأثير: 3 : 387 وما بعدها، وابن عبدربه 2 : 115) .

د- تعطل الجهاد وتوقف الفتوحات الإسلامية:

بمقتل عثمان ﷺ توقفت الفتوحات الإسلامية ، بل تراجعت في بعض الأماكن، واستمرت كذلك إلى بداية عهد معاوية ﷺ؛ حيث استقرت أحوال المسلمين ؛ فعاودت الفتوحات نشاطها ، وانطلقت شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا .

ولقد رثاه بعض الشعراء منددين بفعلة أولئك المتطرفين الغلاة الذين انتهجوا نهج أسلافهم اليهود قتلة الأنبياء والصالحين ، فعن الشعبي (الذهبي: 2 : 168) قال: ما سمعت من مراثي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك ﷺ :

فكف يديه ثم أغلق بابه وأيقن أن الله ليس بغافل

وقال لمن في داره لا تقاتلوا عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل

فكيف رأيت الله صب عليهم الـ عداوة والبغضاء بعد التواصل

وكيف رأيت الخير أدبر عنهم ووالى كإدبار النعام الجوافل

ورثاه حسان بن ثابت ﷺ بقوله :

من سره الموت صرفا لا مزاج له فليأت مأدبة في دار عثمانا

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

صبرا فدى لكم أمي وما ولدت قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا

ليسمعن وشيكا في ديارهم الله أكبر يا ثارات عثمانا

بعد مقتل عثمان ﷺمظلومًا (أحمد: 2: 115) وَلِيَ عليُّ بن أبي طالب ﷺ الخلافةَ بمبايعةٍ من الصحابة وجميع أهل المدينة - على كُرهٍ منه للخلافة ، ورفضٍ منه للبيعة - وبعد مرور خمسة أيام على مَقتل الخليفة الشهيد، فقبل ﷺالبيعةَ؛ حسمًا لمادَّة الخلَاف ، ولئلَّا تُترك الأمور لأولئك الغوغاء (ابن العربي: 146).

كانت البيعة لعليٍّ ﷺ في عام 36 هـ ، وبعد بيعته بأيَّام جاءه طلحةُ والزُّبير ﷺ، وطالباه بأخْذِ الثَّأر مِن قَتَلة عثمان ، وكان هذان الصحابيَّان الجليلان أولَ مَن بايع عليًّا ﷺ أجمعين ، فاعتذر عليٌّ ﷺ إليهما بأنَّ قتَلَة عثمان كثرة ، فمِن الفِطنة تأجيل الأمر بعضَ الوقت ؛ حتى يتمَّ له التمكُّن في الحكم ، وجمع شَتات الناس ، وكشف هؤلاء المجرمين وتعريتهم مِن المنحازين إليهم والمتعاطفين معهم ، لقد كان هذا العُذر نفسه هو الذي منَع عثمانَ ﷺ مِن قتالهم ؛ لئلَّا تكون فتنة تُسفك فيها دماء المسلمين ، خلاف صَغير في وجهات النَّظَر، كان نواة لنشوء خلاف كبير أسفر عن فرقة المسلمين على فريقين ، فريق مَع عليٍّ ﷺ ، وفريق يخالفه ، وكانت النتيجة نشوب حربين عظيمتين حدثَتْ فيهما مَقتلةٌ عظيمة، وسُفكتْ فيهما دماء كثيرة ؛ هما حرب الجمل وحرب صِفِّينَ.

وحدث التحكيم ، واستقر الأمر لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ ، ولعل حادثة التحكيم تعد السبب الرئيس في ظهور فرقة الخوارج ، إذ إن نشأتهم بدأت بانفصالهم عن جيش الإمام علي ﷺ وخروجهم عليه، وهذا الرأي هو الذي عليه الكثرة الغالبة من العلماء إذ يعرفون الخوارج بأنهم هم الذين خرجوا على علي بعد التحكيم ، ومن هؤلاء الأشعري فقد أرخ للخوارج، وأقدم من أرخ لهم منهم هم الخارجون على الإمام علي ﷺ وقال عنهم: " والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب ﷺ(الذهبي: 2 : 180 وما بعدها) .

وقد تابعه في صنيعه البغدادي؛ حيث بدأ التاريخ للخوارج بذكر الخارجين على علي ﷺ وكذلك يرى أبو الحسين الملطي أن الفرقة الأولى للخوارج هي المحكّمة (البغدادي : 79 وما بعدها).

فالتطرف عندهم تجلّى في الخروج على علي ﷺ ، ورفض التحكيم ، بل وصل بهم الغلو والتطرف أعلى درجاته حينما قالوا بتكفير علي ﷺ وكل من قبل التحكيم ورفعوا شعارهم : (لا حكم إلا لله).

حاول علي ﷺ استصلاحهم بالحجة والبرهان ورجع منهم من رجع بمناظرة ابن عباس ﷺ لهم ، فلما لم تجد المناصحة فيمن بقي على عناده وتعصبه مال إليهم وقاتلهم - فعلي رضي الله عنه لم يقاتلهم ابتداء حتى سفكوا الدم الحرام وبدءوه بالقتال - فكانت موقعة النهروان وأبادهم إلا نفراً قليلاً فروا إلى بعض البلدان .

وبعد مقتل علي ﷺ من قبل بعض الخوارج أصبحوا يجمعون فلولهم ويبثون سمومهم في أبناء الأمة حتى صاروا يشكلون شوكة في جنب الأمة يهددون أمنها وأمن جماعة المسلمين.

وما زالت تلك الجماعة تخرج على المسلمين بين زمن وآخر كما اخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ ، وتتسمى بأسماء خداعة هي في حقيقتها امتداد للخوارج الأُول ، وعندما سئل الإمام علي ﷺ بعد أن أبادهم في النهروان هل انتهوا تماما قال: "لا ، سيكونون في أصلاب الرجال لكنهم سيلقون ذلا شاملا وسيفا قاطعا ويكون آخرهم لصوصا سلابين (الشوكاني : 1 : 856 وما بعدها) .

اتسع مذهب الخوارج - بعد ذلك - في بِدَعِه ومخالفاته ، نظرا لما استتبع اعتراضهم الأول من التزامات ، ولما استجد عليهم من محدثات ، فمن أبرز آرائهم المتطرفة :

1. الخروج على الحكام إذا خالفوا منهجهم وفهمهم للدين.
2. تكفير أصحاب الكبائر.
3. التبروء من الخليفتين الراشدين عثمان وعلي ﷺ.
4. تجويز الإمامة العظمى في غير القرشي ، فكل من ينصبونه ويقيم العدل فهو الإمام ، سواء أكان عبدا أم حرا ، عجميا أم عربيا. وذهبت طائفة منهم وهم النجدات إلى عدم حاجة الناس إلى إمام ، وإنما على الناس أن يتناصفوا فيما بينهم ، فإن رأوا أن لابد من إمام جاز لهم أن يقيموا لهم إماماً.
5. إسقاط حد الرجم عن الزاني ، وإسقاط حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال دون من قذف المحصنات من النساء.
6. إنكار بعضهم سورة يوسف ، وهو من أقبح أقوالهم وأشنعها ، وهذا القول ينسب إلى العجاردة منهم ، حيث قالوا: لا يجوز أن تكون قصة العشق من القرآن .
7. القول بوجوب قضاء الصلاة على الحائض ، فخالفوا النص والإجماع .
8. قتل من يخالف مذهبهم من المسلمين ، واستحلال عرضه وماله (ابن حجر : 8:425) .

ولقد وردت لهم صفات الخوارج في الحديث النبوي الشريف ما لم يرد في فرقة من الفرق الإسلامية من البيان ، فقد تواترت الأحاديث في التحذير منهم وبيان صفاتهم ، ومن صفاتهم التي ورد بها الحديث:

1. قلة فهم القرآن ووعيه ، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال في وصفهم: "يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّميَّة" متفق عليه .
2. زهد وعبادة وخبث اعتقاد : كما سبق في حديث أبي سعيد الخدري .
3. سلم على أهل الكفر حرب على أهل الإسلام: فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال في وصفهم (يقتلون أهل الإسلام ويَدَعُون أهل الأوثان) .
4. صغار الأسنان سفهاء الأحلام: فعن علي ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في وصف الخوارج: (حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام) متفق عليه.

ومن أوصافهم التحليق، كما ثبت في صحيح "البخاري" مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في وصفهم: (سيماهم التحليق) والمراد به: حلق رؤسهم على صفة خاصة، أو حلقها بالكلية، حيث لم يكن ذلك من عادة المسلمين ولا من هديهم في غير النسك .

وخاتمة الأوصاف النبوية للخوارج أنهم (شر الخلق والخلقية) كما ثبت ذلك في صحيح مسلم، وأن قتلاهم (شر قتلى تحت أديم السماء) كما عند الطبراني مرفوعا، وأنهم (كلاب النار)

كما في مسند أحمد ، وأنهم (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) كما ثبت ذلك في الصحيحين.

أما كيفية التعامل مع الخوارج فلقد وضع أمير المؤمنين علي ﷺ منهجا قويما في التعامل مع هذه الطائفة المارقة، تمثل هذا المنهج في قوله رضي الله عنه للخوارج: ".. إلا أن لكم عندي ثلاث خلال ما كنتم معنا: لن نمنعكم مساجد الله، ولا نمنعكم فيئا ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا " (ابن أبي شيبة: 39070).

وهذه المعاملة في حال التزموا جماعة المسلمين ولم تمتد أيديهم إليها بالبغي والعدوان، أما إذا امتدت أيديهم إلى حرمات المسلمين فيجب دفعهم وكف أذاهم عن المسلمين، وهذا ما فعله أمير المؤمنين علي ﷺ حين قتل الخوارج عبدالله بن خباب بن الأرت وبقروا بطن جاريته، فطالبهم ﷺ بقتلته فأبوا، وقالوا كلنا قتله وكلنا مستحل دمائكم ودمائهم، فسل عليهم ﷺ سيف الحق حتى أبادهم في وقعة النهروان (ابن كثير: 12: 75).

يقول شريح بن أوفى يرتجز يوم النهروان:

أقتلُهم ولا أرى عليًّا ولو بدا أَوْجَرْتُهُ الخَطِّيّا

يقصد: طعنته به في صدره بالخَطِّيُّ: الرمح المنسوب إلى خَطٍّ هَجَرَ.

ويقول:

أضرِبُهم ، ولو أَرَى أبا حَسَنْ ضربته بالسيفِ حتى يطمئن

بسبب مجزرة النهروان (ابن كثير : 12: 75).

ولقد سُمِّيت هذه الفرقة بأسماء عدة ، منها :

1. الحَرُورية: لنزولهم في منطقة تُسمَّى "حَرُوراء"، بعد انفصالهم عن جيش علي ﷺ أثناء عودته من صِفِّين إلى الكوفة.
2. الشُّراة: لقولهم: شَرَيْنا أنفسنا في طاعة الله ؛ أي: بِعْناها بالجنة.
3. المُحكِّمة: لإنكارهم التحكيم والحكمينِ "في قصة التحكيم".
4. المارقة : لقول النبي ﷺ أنهم: "يمرُقون من الدين كما يمرُقُ السهم من الرمية" (البخاري: 3344).

وانقسمت الخوراج إلى فرق كثيرة يجمعها القول بالتبرأ من عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ﷺ وأهم هذه الفرق: المُحَكِّمة، الأزارقة، النجدات، البيهسية، العجاردة، الثعالبة، الإباضية، والصفرية، والخلاف بين هذه الفرق لم يكن في أمور خطيرة تؤدي إلى الانشقاق وتكوين فرقة مستقلة، بل إن معظم نزاعاتهم كانت تدور في كثير من الأحيان حول أمور فرعية.

فهذه لمحة موجزة عن هذه الفرقة ، التي ضلت بأفكارها فكفرت المسلمين وفي مقدمتهم سادات من صحابة النبي ﷺ كعلي وعثمان ﷺ ، وضلت في سلوكها فغدت وبالا على المسلمين فاستحلت دماءهم وأعراضهم وأموالهم، في حين سلم منها الكفار فكانوا منها في عافية .

وفي هذا العصر ظهرت جماعات (مثل التكفير والهجرة و السلفية الجهادية وجماعة التوقف والتبيين وجماعة الإخوان المسلمين وغيرهم).

تبنت منهج الخوارج وأسلوبهم واعتنقت كثيراً من أفكارهم ومبادئهم. (مثل استحلال الدم الحرام والمال بدعوى التكفير وهم الجماعات الحزبية والقعدية).

ومرجعية الخوارج - حديثا - تكمن في كتب المودودي والأفغاني وسيد قطب، وبالأخص كتب سيد قطب، وهو شخصية جدلية مضطربة، ففي كتابه معالم في الطريق، دعى إلى تكفير المجتمع وتدميره وهدمه بالكامل، يقول:

"نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام، أو أظلم.. كل ما حولنا جاهلية، تصورات الناس وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم ، موارد ثقافتهم ، فنونهم وآراؤهم ، ثراتهم وقوانينهم ، حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية ومراجع إسلامية وفلسفة إسلامية وتفكير إسلامي هو ذلك من صنع هذه الجاهلية..."(قطب : 103 وما بعدها)

وهذه دعوة لهدم كل شيئ، الأمر الذي يتعارض مع سماحة الإسلام وحكمته ويسره، الدين الإسلامي الذي جاء مُتمما للشرائع السماوية، ومُتمما لمكارم الأخلاق، أو كما قال الرسول ﷺ "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". (البخاري في الأدب المفرد: 2737)

لقد وثّق شعراء الخوارج ما أشرنا إليه من تلك الأحداث والعقائد، فجاء نظمهم زهديا ثوريا جامحا، يكبر الإنسان الخارجي إكبارا شديدا؛ لأن كل إنسان ذهب في سبيل العقيدة يعدّ- في معتقدهم الضال - شهيدا، فهو المثل الأعلى في نظر أصحابه بعد استشهاده، وهو الذي يستحق الرثاء والبكاء، مثلما أن الجماعة الخارجية هي العصبة المثالية التي تمثل الحق، فهي إذن تستحق المدح والثناء، لذلك فهو أدب قوي يزيد من قوته شدة التلازم بين المذهب الأدبي والحياة العملية، ويقترن فيه الصدقان: الصدق الفني والصدق الاجتماعي.

على أن حقيقة الموت ولّدت لونا حزينا ونغمة حزينة ولكنه لم يسلمه إلى يأس مطلق؛ لأن هذا الموت نفسه كان عند ذلك الشعر نوعا من الأمل، إذ لم يعد الموت إلا دخول الجنة أو لقاء الإخوان والأحباب الأبرار الأتقياء الذين تقدموا على الطريق.

والمتأمل في شعرهم يجده ينطوي على وحدات ثلاث: وحدة الغايات، ووحدة الخصائص، ووحدة التيارات النفسية.

فوحدة الغايات تمثل النقطة التي تلقي عندها أحلام كل واحد من أولئك الشراة وهي الاستشهاد في سبيل الله، أو طلب الموت ويمثلها قول البهلول (عباس 1 : 10 وما بعدها):

من كان يكره أن يلقى منيته فالموت أشهى إلى قلبي من العسل

فلا التقدم في الهيجاء يعجلني ولا الحذار ينجيني من الأجل

وأما وحدة الخصائص فهي مجموعة الصفات السامية التي يمكن أن تقال في كل خارجي صادق العقيدة، ولذلك تشابه هؤلاء في الصورة العامة الكبرى، وأصبح الشعر المقول في وصف الشاري لا يميز إلا باختلاف الأسماء، لأنه لا فرق بين أبي بلال ومطر وصالح بن مسرح وداود بن النعمان والخطار، فكل واحد فيهم يمكن أن يقال فيه ما يقال في الآخرين؛ وهذه الخصائص تتمثل في كل فرد على حدة كما تتمثل في الجماعة:

متأهبون لكل صالحة ناهون من لاقوا عن المنكر

صمت إذا حضروا مجالسهم من غير ما عي بهم يزري

متأهون كأن جمر غضا للموت بين ضلوعهم يسري

لا ليلهم ليل فيلبسهم فيه غواشي النوم بالسكر

إلا كرى خلسا وآونة حذر العقاب فهم على ذعر

ويجدر بنا أن نشير إلى أن عقيدة الشري هذه تتنازعها الفرق الإسلامية جميعا لأنها " المثال " الذي يرمز إلى المؤمن. ويقول شاعر المعتزلة مصورا أصحاب واصل بن عطاء (عباس مرجع سابق) :

تراهم كأن الطير فوق رؤوسهم على عمة معروفة في المعاشر

وسيماهم معروفة في وجوهـــــم وظاهـــــر قول قي مثال الضمائر

وفي قص هداب وإحفاء شارب وكور على شيب يضيء لناظــر

ويقول الشاعر في وصف العلويين:

نهاركم مكابدة وصوم وليلتكم صلاة واقتراء

وهذه الأمثلة تدل على مدى المشاركة بين مختلف الفئات الإسلامية في تصورها للغاية المثالية في حياة الإنسان، وفي هذه الصفات خصائص زهدية قوية، وهي تمثل صفات "الحاكم الزاهد" المثالي، الذي يستطيع أن يحقق الخير ويصون الحقوق ويرعى الأمانات ويقيم العدل.

وتأتي وحدة التيارات النفسية لتتمثل في الاتفاق على معاني التلوم النفسي عند أدنى شعور بالتقصير في جانب الوحدتين السابقتين: وحدة الغاية ووحدة الخصائص، يقول الشاعر الخارجي:

ولقد مضوا وأنا الحبيب إليهم وهم لدى أحبة أبرار

قدر يخلفني ويمضيهم به يا لهف كيف يفوتني المقدار

ويقول شاعر آخر:

إخوان صدق أرجيهم وأخذلهم أشكو إلى الله خلاني لأنصاري

وإذا كانت هذه الوحدات قد تركت طابعا من الصدق العميق في الشعر الخارجي فإنها أيضا عملت على خلق التشابه والتكرار فيه، وكان ضيق النطاق الذي فرضه الزهد على الشاعر يزيد من ذلك التكرار والتشابه، فإذا أراد الشاعر الخارجي - وهو زاهد في الدنيا ليس له من هم سوى الجهاد في سبيل معتقده - أن يتحدث عما يحتاجه من دنياه، لم يتذكر سوى آلة الحرب التي تمكنه من القيام بواجبه، وفي هذا يستوي حال الشعراء المجاهدين، ولهذا كان ما يقوله عطية بن سمر الليثي: (عباس: مصدر سابق)

وحسبي من الدنيا دلاص حصينة ومغفرها يوما وصدر قناة

وأجرد محبوك السراة مقلص شديد أعاليه وعشر شـــراة

مشابها لما يقوله عمرو القنا:

فحسبي من الدنيا دلاص حصينة وأجرد خوار العنان نجيب

معي كل أواه برى الصوم جسمه ففي الجسم منه نهكة وشحوب

وليس بين ما يريده الشاعران من آلة هذه الدنيا فرق إلا في التفصيلات الجزئية، ويكاد التعبيران عن هذه الحاجة يتفقان في طبيعة الصياغة.

والمتتبِّع لشعر الخوارج يلحظ تقيّده في إطاره العام بأُسس ومبادئ مذهبهم الدينية والسياسية على الرغم من تفرقهم إلى فِرق ومذاهب كالخروج على السلطان الجائر ، ومن ذلك قول عمران بن حطّان:

حتّى متى لا نرى عدلاً نعيش به ولا نرى لدعاة الحق أعوانا؟ (عباس: مصدر سابق: 26).

هذا التساؤل الذي أبداه الشاعر يدل على التحريض ضد السلطان بدليل ذكره في صدر البيت انعدام العدل والذي ترتب عليه عدم وجود دعاة الحق ، وفي قوله: (حتّى متى) ثورة على هذه الحال، ومن ذلك أيضاً قول أبي بلال مرداس بن أُديه:

وقد أظهر الجور الولاة وأجمعوا على ظلم أهل الحق بالغدر والكفر (عباس: مصدر سابق: 26).

ومن أسس تقيدهم بتعاليم مذهبهم، وصفهم لمرتكب الكبيرة بالكفر وفي شعرهم نماذج كثيرة ، ومن تلك المبادئ أيضاً تمسكهم بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أفرطوا ذكر الأشعار بخصوصه، يقول عبدالله بن وهب الراسبي:

نقاتلكم كَيْ تَلْزَمُوا الحَقَّ وَحْدَهُ ونَضْرِبُكُمْ حَتَّى يَكُونُ لَنَا الحُكْمُ

فَإِنْ تَبْتَغُوا حُكْمَ الإِلهِ نَكُنْ لكُمْ إِذَا مَا اصطَلَحْنَا الحَقُّ الأَمْنُ والسِّلْمُ

والاَّ فإن المشرفَّية محذِم بأيدي رجالٍ فيهُم الدينُ والعلمُ. (معروف: 87)

فضلاً عن إلتزامهم حرفية الكتاب والسَّنّة ولم يتعمّقوا في التأويل .

ومن التطرف الذي نلمسه لدى كل شاعر خارجي متأثر صورة واحدة لهذه الحياة الدنيا الفانية، فهو يريد أن يبيع الذي يفنى بما يبقى، وهم في هذه النظرة مشتركون، وليس في التعبير عنها أي تفاوت كبير، يقول أحدهم:

حتى أبيع الذي يفنى بآخرة تبقى على دين مرداس وطواف

ويقول أبو بلال:

إني وزنت الذي يبقى بعاجلة تفنى وشيكا فلا والله ما اتزنا

ويقول الرهين المرادي:

إني لبائع ما يفنى لباقية إن لم يعقني رجاء العيش تربيصا

وهكذا نجد أننا لو رصدنا أكثر مؤشرات التطرف والغلو عندهم لوجدناها محدودة مشتركة بين شعراء الخوارج، وهذا هو ما يجعل التكرار سمة بارزة في ذلك الشعر، على أن هذا التكرار لا ينقص من درجة الصدق والإخلاص في هذا الشعر، لأنه ليس تكرارا بالتقليد، أو استدعاء لنموذج شعري غالب ، بل هو تكرار يعكس تزييفهم لحقيقة عقيدتهم ، فيظهرون الزهد والعفاف والورع ، والحقيقة خلاف ذلك .

وتجدر الإشارة إلى أن شعرهم اتسم بقوة الأسلوب ، وشيوع اللفظ الغريب ، واتباع الأسلوب الجاهلي ، والعاطفة الدينية البسيطة الخالية من المنطق والجدل .

ولأن معظم شعراء الخوارج من حفظة القرآن والشعر والحديث ، ففصاحة اللّسان و بيانه أهم ما يتّسم به العربي الخارجي ، وهم الذين قال فيهم عبيد الله بن زياد عندما حكموه في شأنهم: " لكلام هؤلاء أسرع في قلوب الناس من النار إلى اليراع " (عباس مصدر سابق).

ولما كان شعراؤهم هم قادتهم والمتكلمون باسم جماعاتهم، طغت قوة الأسلوب على شعرهم، فكما هم أقوياء في ساحات القتال يتخيرون موقع الضرب بقوة، نراهم يتخيرون موقع اللفظ متمكنين من سبك الكلام كما هم متمكنين في ساحات المعارك ، وشعرهم يخاطب عاطفة المستمع بالدرجة الأولى .

ورغم قوة أسلوبهم الشعري إلا أنه يخلو من الصور الفنية والمحسنات ، فشعرهم أغلبه قيل في ساحات المعارك، فلم تكن لهم الفرصة غالبا للاعتناء بالصورة الشعرية.

كما أن سهولة اللفظ وألفته تسيطران عليه، على أن الأثر البدوي للفظ لم يغب في شعرهم وهذا ما يبدو واضحا في شعر الطرماح:

لذكرى هوى أضمرته القلو ب بين النوائط والجانحه

ظعائن شِمن قريح الخريفْ من الأنجم الفُرغ والذابحهْ

وقوله أيضا :

وكأن قِهزَةَ تاجرٍ جِيبت لهُ لِفُضُول أسفَلِها كِفافٌ أسـودُ

هاجت به كُسُبٌ تلعلع للطَّوى والحرصِ، يدألُ خلفهُن المؤسدَ

صُعرُ السوالف بالجِراءَ كأنها خلف الطرائد خشرمٌ متبـددُ

والخوارج وإن ابتعدوا عما يشتت الجماعة من تمسك بغير عقيدتهم إلا أن انتماءهم القبلي لم يثنهم عن عصبيتهم ، فها هو الطرماح يمدح أحد رؤساء قحطان لمكانته القبلية لا لشيء آخر وهو يمدحه إعلاءً لمكانته ومكانة قحطان بين العرب، يقول في مدح يزيد الأزدي:

أيزيدُ يا ابن ذرا الحوا صن والعقائل للعقائـــلْ

وابن المتوّج للمتـوج والحلاحل للحُلاحل

ومن العصبية القبلية أيضا تعصبه للقبائل القحطانية في قوله (الطرماح: 116):

منا الفوارس والأملاك، قد علمت عليّا معدّ، ومن كل ذي حسب

كما تميز شعرهم بالجزالة وقوة الأسلوب واستخدام العبارات ذات الطابع القوي المؤثر في نفس المتلقي وقد سهّل هذا الأمر سرعة الاستجابة لمذهبهم وتصديقهم ، من ذلك قول شاعرهم عيزار بن الأخنس الطائي السبنسي:

يُنادَونَ لا لا حُكمَ إلّا لِـرَبِّنـا حَـنَانَـيْـكَ فَاغْـفـرْ حَـوْبَنا والمَسَاوِيَا

هُم فارقوا في اللهِ مَنْ جَارَ حُكْمُهُ وكُـلٌّ عَـنِ الرَّحمنِ أصْبَحَ رَاضِيا

فلا وإلهِ النَّاسِ مَا هَابَ مَعْشَرٌ عَلَى النَّهرِ فِي اللهِ الحُتُوفَ القَواضِيَا (عباس: مصدر سابق: 45).

فقوة العبارة تؤيد سلامة الطرح فاستخدام النفي والقسم والإثبات تقوى العبارة والطرح.

يمكننا القول: إن شعر الخوارج كان وثيقة تاريخية رصدت كل ما اعتقدوه وعاشوه من عقائد منحرفة، ومعارك طاحنة تجسدت فيها روح الخوارج، كما أن شعرهم قد اجتمعت فيه قوة العاطفة التي تحركها العصبية المذهبية ، فضلاً عن الأداة الصالحة للتعبير عن تلك العاطفة والمتمثلة في فطرتهم البدوية ، وفصاحة ألْسِنتهم ، وسرعة بديهتهم ، وأدائهم للمعنى بأوجز عبارة وأقوى لفظ ، فنطق شعرهم بالغضب على الدولة والمجتمع

والواقع أن المؤرخين والعلماء الذين تتبعوا الفرق المتطرفة، وحاولوا استقصاءها، وجدوها كثيرة متشعبة ، وظهرت منها فرق مشهورة ، أهمها: الحرورية ، والقدرية ، والجهمية ، والمرجئة ، والرافضة، والجبرية.

إنَّ أدبنا العربي الذي كان منذ أن جاء الإسلام - إلا في استثناءات قليلة - يغترف من نبعِ العقيدة الإسلامية الصحيحة ، ويتشكل في ضوء هديها، قد جدَّت فيه - من داخل الأمَّةِ وخارجها - تياراتٌ وفلسفات وأفكار كثيرة مخالفة للإسلام.

وكانت هذه الدعوات التي تمتد جذورها في القدم – كما أسلفنا - تلقى على الدَّوام دعمًا من الخارج، ويحظى المنادون بها بكلِّ حظوةٍ وتقدير، وينصَّبون رموزًا للثقافةِ والفكر.

فلقد انفتح بابُ أدبنا العربيِّ الحديث على مصراعيه - من غير حذر ولا رقيب - على تياراتٍ لا حصر لها قادمة من الغرب؛ كالعلمانية، والماركسية، والوجودية، والليبرالية، والعبثية، وغيرها.

كما أُحيِيَت فيه عقائدُ ونحل منحرفة كانت دائمًا في موطنِ الشبهة والاتهام عند علماءِ الأمة وفقهائها ومفكريها؛ كالباطنيةِ والصوفية والقدرية وغيرها.

وإنَّ الدَّارسَ ليلحظُ أنه لم تبقَ نِحلة أو دعوة أو فلسفة من الفلسفاتِ التي تخالفُ الإسلامَ إلا ارتادها أدبُنا العربيُّ الحديث، حتى لم يعد خافيًا على أحدٍ هيمنة هذه العقائدِ والأيديولوجيات المنحرفة على ساحتِه، واستئثارها بتصوراتِه ورؤاه.

فلقد تسمَّتْ مدارسُ ومذاهب بأسماءٍ وثنية، ولمعت وذاعت في عالم الأدب عندنا، وهل ثمة ما هو أشهر من مدرسة "أبولو" في الأدبِ العربي الحديث؟ ومن هو "أبولو" هذا؟ إنه - فيما تدعي الأساطير اليونانية - ربُّ الشعر والشمس والموسيقا (الدسوقي: ص: 344).

وتسمت طائفةٌ من شعراءِ الحداثة بالشعراء "التموزيين"، ومن هو تموز؟ إنه وثنٌ استخدم عند البابليين إلهًا للمحاصيلِ والإنبات كما تدعي أساطيرُ أولئك القوم (نعمة: ص :198).

بل إنَّ شاعرًا مشهورًا من رموزِ الحداثة يستبدلُ باسمه العربي "علي أحمد سعيد" اسمًا وثنيًّا، فيدعو نفسه "أدونيس" وهو - فيما تزعم أساطير الفينيقيين - إله الخصب عندهم (نعمة: مصدر سابق: ص: 136).

كما احتشد الشعرُ العربي الحديث - والحداثي منه على وجه الخصوص - بعشراتِ الرموز الوثنية والنصرانية، واستعمل مفرداتها وألفاظها، وقد استغرب محمود شاكر - رحمه الله - أنَّ كثيرًا من روادِ الشعر العربي الحديث - من المسلمين - قد أوغلوا في استخدامِ ألفاظ من مثل: (الخطيئة، والفداء، والصلب، والخلاص وغيرها). (شاكر: ص205- 215) .

المبحث الثالث: بيان بعض الفرق المتطرفة وذكر بعض آرائهم: نقلاً عن (الشهرستاني : الملل والنحل: 3 أجزاء: صفحات متفرقة).

أشهر فرق الحرورية:

الفرقة		أشهر أقوالهم
الأزارقة	أتباع نافع بن الأزرق	_ مخالفوهم مشركون مخلدون في النار _ يَحِلُّ قتل وقتال من يخالفهم _ دار مُخالفيهم دار حَرب ، يباح فيها قتل الأطفال ، وسبي النساء _ أطفال مخالفيهم مخلدون في النار
الإباضية	أتباع عبدالله بن إباض	_ مَن أخذ بقولنا فهو مؤمن، ومن أعرض عنه فهو منافق _ يرى الإباضية أن مرتكبي الكبائر موحدون لا مؤمنون _ ينفون رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة

		_ الإباضية ترى التقية عند الحاجة
النجدات	أتباع نجدة بن عويمر	_مرتكب الذنب إذا كان من الخوارج معفو عنه _ إن كان من غيرهم فغير مَعفو عنه
الصفرية	أتباع زياد بن الأصفر	_ التقية جائزة في القول دون العمل _ منهم من يرى أن أصحاب الذنوب مشركون
الأخنسية		_ لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر

أشهر فرق القدرية:

الفرقة		أشهر أقوالهم
المعتزلة		_ قالوا بخَلْقِ القرآن ، وجحدوا الرُّؤية
الكيسانية		_ قالوا: لا ندري هذه الأفعال من الله أو من العباد؟
المسعدية		_ زعموا أن مَن عصى ثم تاب لم تقبل توبته
الحرقية		_ زعموا أن الكافر تحرقه النار مرة واحدة ، ثم يبقى محترقًا أبدًا لا يجد حرَّ النار
القبرية		_ ينكرون عذاب القبر، والشفاعة

أشهر فرق الجهمية :

الفرقة		أشهر أقوالهم
المعطلة		_ زعموا أن كل ما يقع عليه وهم الإنسان فهو مخلوق ، وأن مَن ادَّعى أن الله يرى فهو كافر
المريسية		_ قالوا: أكثر صفات الله - تعالى- مخلوقة
المسعدية		_ زعموا أن مَن عصى ثم تاب لم تقبل توبته
الحرقية		_ زعموا أن الكافر تحرقه النار مرة واحدة ، ثم يبقى محترقًا أبدًا لا يجد حرَّ النار
القبرية		_ ينكرون عذاب القبر، والشفاعة
العبدية		_ جحدوا الرسل، وقالوا: إنما هم حكماء

أشهر فرق الرافضة :

الفرقة		أشهر أقوالهم
العلوية		_ قالوا: إن الرسالة كانت إلى علي رضي الله عنه، وإن جبريل عليه السلام أخطأ
الأمرية		_ قالوا: إن عليًّا شريك محمد في أمره
الشيعة		_ قالوا: إن عليًّا - رضي الله عنه - وصي رسول الله صلى الله عليه

		وآله وسلم ووليه من بعده، وإن الأمة كفرت بمبايعة غيره
الإسحاقية		_ قالوا: إن النبوة متصلة إلى يوم القيامة، وكل من يعلم علم أهل البيت، فهو نبي
الناووسية		_ قالوا: علي رضي الله عنه أفضل الأمة؛ فمن فضل غيره عليه، فقد كفر
الإمامية		_ قالوا: لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين، وإن الإمام يعلمه جبريل عليه السلام، فإذا مات بدل غيره مكانه.
الرجعية		زعموا أن عليًّا وأصحابه يرجعون إلى الدنيا، وينتقمون من أعدائهم
اللاعنة		يلعنون عثمان، وطلحة، والزبير، ومعاوية، وأبا موسى، وعائشة رضي الله عنهم وغيرهم.
المتربصة		نصبوا في كل عصر رجلاً ينسبون إليه الأمر، يزعمون أنه مهدي هذه الأمة، فإذا مات نصبوا آخر

أشهر فرق المرجئة :

الفرقة		أشهر أقوالهم
السائبية		قالوا: إن الله تعالى سيب خلقه ؛ ليفعلوا ما شاؤوا.
الراجئة		_ قالوا: لا يسمى الطائع طائعًا، ولا العاصي عاصيًا؛ لأنا لا ندري ما له عند الله
المنقوصية		_ قالوا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص
المشبهة		_ قالوا: بصَرٌ كبصَرٍ، ويدٌ كيَدٍ

أشهر فرق الجبرية :

الفرقة		أشهر أقوالهم
النجارية		زعموا أن الله تعالى يعذب الناس على فعله ، لا على فعلهم
الكسبية		قالوا: لا يكتسب العبد ثوابًا ولا عقابًا
السابقية		قالوا: من شاء فليعمل، ومن شاء لا يعمل؛ فإن السعيد لا تضره ذنوبه، والشقي لا ينفعه بره.
الحبية		قالوا: من شرب كأس محبة الله تعالى، سقطت عنه عبادة الأركان
الفكرية		قالوا: من ازداد علمًا، أسقط عنه بقدر ذلك من العبادة

- الخاتمة:

بعد هذا السرد المقتضب للجذور التاريخية لظاهرة التطرف، خلص البحث إلى بعض النتائج، نجملها فيما يلي:

1- التطرف الديني قديم في البشرية متمثلا في غلو الأمم السابقة كغلو قوم نوح في صالحيهم، وكذا غلو أهل الكتاب في أنبيائهم.

2- تأثير عقائد السابقين على طوائف من المسلمين في نشأة الغلو فيهم، وهو ما يُرى جليا واضحا في معتقدات الرافضة والجهمية والمعتزلة والخوارج.

3- إن الغلو والتطرف المذموم بحمل السلاح على المسلمين، ووضع السف فيهم حدث مبتدع ظهر- أولا - عند الخوارج ، ومن ثم إلى بقية الفرق والجماعات المختلفة.

4- ترجع أسباب الغلو والتطرف إلى الفهم السيئ لمسائل الأسماء والصفات وبعض الأحكام .

5- إن مسائل العقيدة تبدأ ضيقة ثم تتوسع فتنال العقيدة والقول والفعل، ويصاحبها الشدة والغلظة التي يحصل من جُرَائها الفساد والإفساد في الدين والحياة، وواقعهم يشهد بكل هذا.

6- الاستمرار التاريخي لخروج الخوارج من عهد الصحابة إلى أن يخرج آخرهم مع الدجال، استمرارُ وجود من تأثر بعقيدة الخوارج في التكفير بالذنوب صراحة أو بتأويل.

7- إن الذي دفعهم إلى سلوك هذه المسالك هو الغلو في الدين ، سواء في الاعتقاد أم في السلوك.

8- إن شعر الخوارج كان وثيقة تاريخية رصدت كل ما اعتقدوه وعاشوه من عقائد منحرفة، ومعارك طاحنة تجسدت فيها روح الخوارج، كما أن شعرهم قد اجتمعت فيه قوة العاطفة التي تحركها العصبية المذهبية .

9- تميز شعراؤهم بفصاحة ألْسِنتهم ، وسرعة بديهتهم، وأدائهم للمعنى بأوجز عبارة وأقوى لفظ ، فنطق شعرهم بالغضب على الدولة والمجتمع.

10- جاء شعرهم في شكل مقطوعات قصيرة، واستخدام شعراؤهم أساليب وألفاظ القرآن الكريم في أشعارهم، كما نجد التشابه في أغراضه ومعانيه وألفاظه وشخصيات شعرائه ويرجع ذلك لوحدة أهدافه المتمثلة في خدمة مذهبهم.

ـ قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

اولاً: المصادر:

_ ابن أبي الحديد : عز الدين بن محمد بن عبدالكريم المدائني
شرح نهج البلاغة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2009م.

_ ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم
الكامل في التاريخ ، عدة أجزاء ، بيروت ، دار صادر ، 1965م.

_ البخاري : محمد بن إسماعيل
صحيح البخاري ، تحقيق ه عبد الرؤوف ، القاهرة ، مكتبة الإيمان ، 2003م.

_ البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله
الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، ط2 ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، 1977م .

_ الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن موسى بن الضحاك
الجامع الكبير ـ سنن الترمذي ، تحقيق بشار عواد معروف ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1989م.

_ ابن تيمية : محمد بن عبدالحليم
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، تحقيق على الألمعي ، الرياض ، دار الفضيلة ، 2004م.

_ الجصاص : أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي
أحكام القرآن ، تحقيق: محمد صادق القمحاوي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ،2010م

_ ابن حجر : أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني الشافعي
فتح الباري شرح صحيح البخاري ، بيروت ، دار المعرفة ،1379ه

_ ابن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي
مسند الإمام أحمد ، عدة أجزاء ، تحقيق أحمد شاكر ، القاهرة ، دار المعارف ، 1995م.

_ الدمنهوري ، أحمد بن عبد المنعم بن صيام
الفتح الرباني بمفردات ابن حنبل الشيباني ، القاهرة ، دار العاصمة ، 1994م .

_ الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان
سير أعلام النبلاء ، عدة أجزاء ،القاهرة ، دار المعارف ، 1953

_ الزبيدي : محمد بن محمد بن عبدالرازق المرتضى
تاج العروس من جواهر القاموس ، القاهرة ، دار الهداية ، 2010م

_ ابن سلام : أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبد الله الجمحي
طبقات فحول الشعراء ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2001

_ السبكي : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي

طبقات الشافعية الكبرى ، القاهرة ، مؤسسة عيسى البابي الحلبي ، 1964 م

_ الشهرستاني : محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر ، الملل والنحل ، 3 أجزاء ، تحقيق عبدالعزيز الوكيل ، القاهرة ، مؤسسة البابي الحلبي ،1968.

_ الشوكاني : محمد بن علي

الفتح الرباني من فتاوى الشيخ الشوكاني ، تحقيق محمد صبحي ، صنعاء ، مكتبة الجيل الجديد

_ الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير

تاريخ الرسل والملوك ، ط2 ، القاهرة ، دار المعارف ، 1967م.

_ ابن عبد ربه : أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

العقد الفريد ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1983م .

_ ابن العربي : محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي

العواصم من القواصم ، تحقيق محب الدين الخطيب ومحمود مهدي الاستانبولي ، بيروت ، دار الجيل ، 1987 م .

_ ابن القيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، جدة ، مجمع الفقه الإسلامي ،1432هـ

_ ابن كثير : أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي

البداية والنهاية ، بيروت، مكتبة المعارف ، 1990م.

_ ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور

لسان العرب ، الجزء الأول ، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من المتخصصين ، دار الحديث ، القاهرة ،2002 م.

ثانياً: المراجع:

_ بن حمد : سليمان

ابن سبأ ودوره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ، الرياض ، دار طيبة ، 1995م .

_ الجراد : سفير أحمد

ظاهرة التطرف الديني في المجتمع الإسلامي المعاصر ، دمشق ، دار محمد الأمين ، 2012م.

_ جواد : فكرى وعبد الأمير كاظم

الأسس الدينية للأصولية في الأديان الإبراهيمية ، بيروت ، دا الرافدين ، 2017م.

_ حسن : عزة

ديوان الطرماح ، ط2 ، بيروت ، دار الشرق العربي ، 1994م .

_ الدسوقي: عبدالعزيز

جماعة أبولو، وأثرها في الشعر الحديث ، جامعة الدول العربية ، الطبعة الأولى ، 1960 م .

_ الريان : جميل أبو العباس

المتطرفون : نشأة التطرف الفكري وأسبابه وآثاره وطرق علاجه ، القاهرة ، دار النخبة للطباعة والنشر،2013م .

_ شاكر ، محمود

أباطيل وأسمار، مكتبة الخانجي ، الطبعة الثالثة ، 2005 م .

_ الصاوي : صلاح

التطرف الديني الرأي الآخر ، القاهرة ، دار الآفاق الدولية ، 1993م .

_ عباس : إحسان

شعر الخوارج ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار الثقافة ، 1974م .

_ قطب : سيد

معالم في الطريق ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، 1973م .

_ نعمة: حسن

ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ، موسوعة الأديان السماوية والوضعية ، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994 م.

_ معروف : نايف محمود

ديوان شعر الخوارج ، دار المسرّة بيروت ، الطبعة الأولى ، 1983م.